الفصل الثامن

فى ذكر أوراد الليل الخمسة

وفى الليل خمسة أوراد، **أولها** أن يصلى بعد المغرب ست ركعات، ويستحب ذلك قبل أن يكلم أحدا. يقرأ فى الأوليين قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وليسرع بهما بعد صلاة المغرب من قبل أن يتكلم ويشتغل بشىء. وفى الخبر أسرعوا بركعتين بعد المغرب فإنهما يُرفعان معها. فإن كان منزله قريبا من مسجده فلا بأس أن يركعهما فى بيته. ولْيطل الأربعة الأخر. وكان أحمد ابن حنبل رحمه الله يستحب أن يصليهما الرجل فى بيته، وكذلك كان يفعل ويقول هو سُنّة، لأنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصليهما فى بيته، ولكن بيت رسول الله صلى الله عليه كان فى مؤخر المسجد وقد صلاّهما فى المسجد. ثم ليصل بين العشاءين ما تيسر إلى أن يغيب الشفق الثانى، وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة، وبعد غسق الليل وظلمته، لأنه آخر ما بقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى إذا قطعت الأرض العليا ودارت من وراء جبل قاف، مصعدةً تطلب المشرق، فهذا هو الوقت المستحب لصلاة العشاء الآخرة، وهذا آخر الورد الأول من أوراد الليل، والصلاة فيه ناشئة الليل أى ساعاته، لأنه أول نشوء ساعاته، وهو أن من الآناء التى ذكرها الله عز وجل فى قوله ومِنْ آناء الليل فسبح، فالآناء جمع آن أى وقت منه، فَصَلّ. وقيل ناشئة الليل قيام الليل، تقول نشا إذا قام، وقد أقسم الله تعالى به فقال فلا أقسم بالشفق، والشفق ما بين العشائين، وهى صلاة الأوّابين، ويقال أيضا صلاة الغفلة. قال يونس بن عبيد عن الحسن فى قوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع، قال الصلاة بين العشاءين، حتى قال أنس بن مالك رضى الله عنه وقد سئل عمن نام بين المغرب والعشاء فقال : لا تفعل فإنها هى الساعة التى وصف الله عز وجل المؤمنين بالقيام فيها، فقال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يعنى الصلاة بين المغرب والعشاء. وقد أسند ابن أبى الدنيا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع، قال الصلاة فيما بين العشائين فإنها تُذهب بملاغاة أول النهار وتُهذّب آخره، قوله الملاغاة جمع ملغاة من اللغو، أى تسقط اللغو، أى تطرح المطرّح عن العبد من الباطل واللهو وتهذب له آخره، أى تُصفّيه وتجوّده.

ويستحب العكوف فى المسجد بين العشاءين للصلاة وتلاوة القرآن، فقد روى فضل ذلك إلا

أن يكون بيته أسلم له لدخول آفة عليه، فما سلم فيه فضل به. ثم ليُصل قبل العشاء الآخرة أربعاً وبعدها ركعتين ثم أربعاً، ويقال إن الأربع بعد صلاة العشاء فى بيته يعدلن مثلهن من ليلة القدر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهن فى بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس، وكان ابن مسعود يكره أن يصلى بعد كل صلاة مثلها، وكانوا يستحبون أن يصلى بعد المكتوبة ركعتين ثم أربعا، وإنْ قرأ فى الأربع فى الأولى آية الكرسى والآيتين اللتين بعدهما، وفى الثانية آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والآية قبلها، وفى الثالثة أول الحديد إلى قوله عز وجل وهو عليم بذات الصدور، وفى الرابعة آخر الحشر من قوله تعالى هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، فقد أحسن وأصاب. فإنْ صلّى بعد الأربع ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتران أحَبّ، فإن هذا العدد أكثر ما روى النبى صلى الله عليه وسلم صلّى به من الليل، إلاّ فى خبر مقطوع وهو سبع عشرة ركعة، والمشهور أنه كان يصلى إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة، وربما حسبوا فيها ركعتى الفجر. واستحبَّ له أن يقرأ فى ركوعه هذا ثلثمائة آية فصاعدا، فإذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين ودخل فى أحوال العابدين، فقدقيل إن الأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل، والأقوياء يأخذون أورادهم من آخر الليل. فإنّ قرأ فى ركوعه هذا سورة الفرقان وسورة الشعراء ففيهما ثلثمائة آية، فإن لم يحسنهما قرأ خمساً من المفصل، فيهن ثلثمائة آية، سورة الواقعة وسورة نون وسورة الحاقة وسورة المدّثر وسورة سأل سائل، فإن لم يحسنهن قرأ من سورة الطارق إلى آخر القرآن، ثلثمائة آية. ولا يستحب للعبد أن ينام حتى يقرأ هذا المقدار من الآى فى هذا العدد من الركوع بعد صلاة العشاء الآخرة. فإن قرأ فى هذا الورد الثانى، أعنى بعد صلاة العشاء الآخرة وقبل أن ينام، ألف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الأجر وكُتِبَ من القانتين. وأفضل الآى أطولها لكثرة الحروف. وإنْ اقتصر على قصار الآى عند فتوره أدرك الفضل لحصول العدد، ومن سورة الملك إلى آخر القرآن ألف آية، فإنْ لم يحسن ذلك قرأ قل هو الله أحد مائتى وخمسين مرة فى ثلاث عشرة ركعة فإنّ فيها ألف آية، فهذا فضل عظيم. وفى الخبر من قرأها عشر مرات بَنَى الله عز وجل له قصراً فى الجنة. وروينا عن النبى صلّى الله عليه وسلم فى السوَر التى لم يكن يدعها فى كل ليلة ثلاثة أحاديث، أشهرها أنه لم يكن ينام حتى يقرأ سورة السجدة وتبارك الملك، والذى بعده أنه كان يقرأ فى كل ليلة بنى إسرائيل والزمر، والقريب منها أنه كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها إنه أفضل من ألف آية. قال وكان العلماء يجعلونها ستاً ويزيدون فيها سبّح اسم ربك الأعلى. وفى الخبر كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب سبّح اسم ربك الأعلى، فهذا يدل على أنه كان يكثر قراءتها ولا يدع أن يقرأ هذه الأربع سور في كل ليلة، سورة يس وسورة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك، فإن ضمّ إليها سورة الواقعة وسورة الصف والحاقة والزمر فقد أكثر وأحسن، فإن لم يكن من عبادته القيام من الليل قَدّم الوتر بنية الخبر المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر. وإن كان معتاد صلاة الليل فالأفضل تأخير الوتر إلى آخر صلاته من تهجده، أو إلى السحر على حديث ابن عمر رضى الله عنه صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خِفْتَ الصبح فأوتر بركعة. وفى حديث عائشة رضى الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل ومن أوسطه ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر. فإن نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعده، وكفاه وتره الأول على الخبر الذى جاء لا وتران فى ليلة. وقد قال بعض العلماء يصلى ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل، ثم يصلى صلاته من الليل ويوتر آخر صلاته. وقد روى فى هذا أثر عن عثمان وعلى رضى الله عنهما. وإن كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الأول، ثم استيقظ للصلاة، شفعتا وتره الركعة الواحدة لأنهما بمنزلة ركعة واحدة، يشفع بها ركعة الوتر التى صلاّها قبلها. ثم ليصل من الليل مستأنفاً ما بدا له، ثم يوتره بركعة واحدة فى آخر صلاته فيكون له فى ذلك ثلاث أعمال، قصر الأمل، وتحصيل الوتر، والوتر من آخر الليل. وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى ركعتين جالساً بعد وتره والله تعالى أعلم، فليقرأ فيهما جالساً بسورة الزلزلة وسورة ألْهَاكم التكاثر، فقد جاء ذلك فى حديثين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فيهما بذلك، لما فى الزلزلة والتكاثر من التخويف والوعظ، وفى رواية قل يا أيها الكافرون، لما فى سورة الكافرون من التنزيه من عبادةِ سوى المعبود، وإفراد العبادة لله سبحانه فيها بالتوحيد. وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقرأ بها عند النوم، وأوصى رجلا بقراءتها عند منامه. وتقديم الوتر مستحب لمن لم يكن عادته قيام الليل، ولمن كان الأغلب عليه النوم. وتأخير الوتر يكون لمن أخّر صلاته قبل طلوع الفجر أفضل. وليقل بعد التسليم من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، جلّلتَ السموات والأرض بالعظمة والجبروت، وتعزّزتَ بالقدرة، وقهرت العباد بالموت. يقول هذا ثلاث مرات وهذا هو **الورد الثانى من الليل**، أعنى الصلاة بعد العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس، فقد أقسم الله عز وجل فى قوله والليل وما وسق، أى وما جمع من ظلمته، وذكره الله عز وجل فى قوله إلى غسق الليل، فهناك يغسق الليل وتستوسق

ظلمته. ثم ينام إنْ أحب وهو على طهارة وعن ذِكْر، وقد كان الصالحون لا ينامون إلا عن غلبة، ويكرهون التعمد للنوم وهو التهيؤ للعادة، وقد كان منهم من يمهد لنفسه بالنوم ليتقوّى بذلك على صلاة أوسط الليل وآخره للفضل في ذلك، ومن غلبه النوم حتى شغله عن الصلاة والذكر فإن السُنّة أن ينام حتى يعقل ما يقول وينشط في خدمته. وقد كان ابن عباس يكره النوم قاعدا. وفي الخبر لا تكابدوا الليل. وقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلم إن فلانه تصلى من الليل، فإذا غلبها النوم تعلّقت بحبل فنهى عن ذلك. وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسّر فإذا غلبه النوم فليرقد. وقال اكفلوا من العمل ماتطيقون فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا. وقيل له إن فلاناً يصلى الليل لا ينام، ويصوم الدهر لا يُفطر، فقال صلّى الله عليه وسلم خير هذا الدين أيسره، ثم قال لكنى أنا أصلى وأنام وأصوم وأفطر فهذه سنتي، فمن يرغب عن سنّتى فليس منى. وقال صلّى الله عليه وسلم لا تشادّوا هذا الدين فإنه متين، فمن يُشادّه يغلبه، ولا تبغّض إلى نفسك عبادة الله عز وجل.

والورد الثالث يكون بعد نومة الناس، وهو التهجد الذى ذكره الله فى قوله ومن الليل فتهجد به نافلةً لك. ولا يكون التهجد إلاّ بعد النوم. وتلك النومة هى الهجوع الذى قال الله عز وجل من القائمين آناء الليل، فقال تعالى كانوا قليلا من الليل، ما يهجعون، فالهجوع النوم، والتهجد القيام. وقد يقال الهجود أيضا وهذا يكون نصف الليل. فهذا أوسط الأوراد وهو يشبه الورد الأوسط من النهار فى أفضل أورادِه. وهو أفضل الأوراد وأمتعها للعبادة. وقد أقسم الله عز وجل به فى قوله تعالى والليل إذا سجى، قيل إذا سكن. وسكونه هدوّه، وسِنَة كل عين فيه وغفلتها إلا عين الله تبارك وتعالى فإنه الحى الذى لا تأخذه سِنَة ولا نوم. وقيل إذا سجى إذا امتد وطال، ويقال إذا أظلم. وسئل رسول الله صلى الله عيه وسلم أى الليل أسمَع، فقال جوف الليل الغابر.

وروينا فى أخبار داود عليه السلام إلهى إنى أحب أن أتعبد لك فى أى وقت تقبل، فأوحى الله عز وجل إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره، فإنه من نام أوله نام آخره، ومن قام آخره لم يقم أوله، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى أخلو بك، وارفع إلىّ حوائجك.

والورد الرابع تكون بين الفجرين، أحدهما الفجر الأول وهو بدو سلطان شعاع الشمس إذا ظهرت من وراء الأرض الخامسة، وسطع ضوؤها وسط السماء حتى يقطعها بمقدار طلوع

الفجر الأول، ثم تغرب فى الفلك الأسفل المتحانف وتحجبها الأرض السادسة فيذهب الضوء ويعود سواد الليل. كما كان لغيبة الشمس وهو الثلث الأخير، وفيه وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنّات عدن، ومن نزول الجبار إلى سماء الدنيا. وفيه الخبر الذى جاء أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الليل أفضل، فقال نصف الليل الغابر، يعنى الباقى. وهذا هو الورد الرابع من نصف الليل إلى وقت السحر الأول. ثم يدخل **الورد الخامس**، وهو السحر الأخير، وفيه يُستحب السحور، فمن لم يتسحّر فى أوله بفَتَهَ الفجر، وهو قبل طلوع الفجر الثانى بمقدار قراءة جزء من القرآن، وفى هذا الورد الخامس الاستغفار وقراءة القرآن، وقد ذكره الله عز وجل فى قوله وقرآن الفجر، إنّ قرآن الفجر كان مشهودا، قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار لتوسط هذا الورد بينهما، ومن ذلك ذهب أهل الحجاز إلى أن الصلاة الوسطى التى نصّ الله تعالى على المحافظة عليها هى صلاة الفجر، تعظيماً لهذا الوقت وتشريفاً له لتوسطه بين آخر الليل وأول النهار، فهذا الورد هو أقصر الأوراد ومن أفضلها، وهو من السحر الأول إلى طلوع الفجر الثانى إلاّ ما كان من صلاة نصف الليل فذلك هو أفضل شىء من الليل، وهو أوسط الأوراد لأنه هو الورد الثالث. ويصلح فى هذا الورد الخامس من السحر الأخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته، أولمن تمّم به صلاته، فالصلاة فيه لها فضل وشرف وهو منزلة الصلاة فى أول الليل بين العشاءين، ولأن معنى قوله عز وجل عند بعض المفسرين «وبالأسحار هم يستغفرون» أى يصلّون، وكذلك قوله عز وجل وقرآن الفجر يعنى به الصلاة، فكنّى بذلك القرآن والاستغفار عن الصلاة لأنهما وصفان منها، كما قيل للصلاة تسبيح وسُبْحة لأن فيها التسبيح، وكذلك يقال للصلاة استغفار لأنه يطلب بها المغفرة. وتكون هذه الصلاة فى السحر بدلاً من السحور إلى طلوع الفجر الثانى، وقد أمر بها سلمان أخاه أبا الدرداء ليلة زاره، فى حديث طويل قال فى آخره: فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم، فنام، ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام، فلمّا كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن، فقاما فصليا، فقال إن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، فاعط كل ذى حق حقه. وذلك أن امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل، قال فأتيا النبى صلّى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له، فقال صَدَق سلمان.

وهذا الورد الخامس يُشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب فى فضل وقتيهما، وهذا قبل الفجر الثانى، والفجر الثانى هو انشقاق شفق الشمس وهو بدو بياضها الذى تحته

الحمرة، وهو الشفق الثانى على ضد غروبها، لأن شفقها الأول من العشاء، وهو الحمرة بعد الغروب، وبعد الحمرة البياض، وهو الشفق الثانى من أول الليل، وهو آخر سلطان الشمس. وبعد البياض سواد الليل وغسقه، ثم ينقلب ذلك إلى الضد فيكون بدو طلوعها الشفق الأول وهو البياض، وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى، وهو أول سلطانها من آخر الليل، وبعده طلوع قرص الشمس. والفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الأسفل إذا ظهرت على وجه الأرض الدنيا، يستر عينها الجبال والبحار والأقاليم المسروقة العالية، ويظهر شعاعها منتشراً إلى وسط السماء عرضا مستطيرا، فهذا آخر الورد الخامس، وعنده يكون الوتر. فإذا طلع الفجر فقد انقضت أوراد الليل الخمسة ودخلت أوراد النهار، فانظر هل دخلت فى دخوله عليك فى جملة العابدين، أم خرج عنك وأنت فيه من الغافلين؟ وتفكّر أى لبسة ألْبَسَك فإن الليل جُعِلَ لباسا. هل ألبست فيه حلة النور بتيقظك فتربح تجارة لن تبور، أم ألبسك الليل ثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه بموت جسده بغفلتك؟ ثم يقوم العبد حينئذ فيصلى ركعتّى الفجر، وهما معنى قوله تعالى ومن الليل فسبّحه وأدبار النجوم، قيل ركعتى الفجر. ثم يقرأ نعوذ بالله من سخطه، وبعده شهدالله أنه لا إله إلا هو إلى آخرها، ويقول أنا أشهد بما شهد الله به لنفسه، وَشهِدْت به ملائكته وأولو العلم من خلْقه، واستودع الله العظيم هذه الشهادة، وهى لى عند الله وديعة حتى يؤديها، وأسأله حفظها حتى يتوّفانى الله عليها. أللّهم أحطط بها عنى وزرا، واجعلْ لى بها عندك ذخرا، واحفظنى بها واحفظها علىّ، وتوّفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا.

وأفضل ما عمل العبد فى ورد من أوراد الليل والنهار، بعد القيام بفرض يلزمه أو قضاء حاجة لأخيه المؤمن يعينه، الصلاة بتدبر الخطاب ومشاهدة المخاطب، فإن ذلك يجمع العبادة كلها. ثم بعد ذلك التلاوة بتيقظ عقل وفراغ هَمّ، ثم أى عمل فتح له فيه من فكر أو ذِكْر، برقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غَيْب، فإن ذلك أفضل أعماله فى وقته.

الفصل التاسع

فيه ذكر وقت الفجر. وحكم ركعتيه الأداء والقضاء. وحكم الوتر ووقت القضاء له والأداء

وفى الشهر ليلتان يُعتبر بهما وقت الفجر، إحداهما يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر الأول وهى ليلة ست وعشرين، والأخرى يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر وهى ليلة اثنتى عشرة من